«قاعدة» شيعية بعد «القاعدة» السنية!!

الكاتب : ياسر الزعاترة

التاريخ : 6 نوفمبر 2012 م

المشاهدات : 4455

فيما يعلم الجميع أن الحرس الثوري الإيراني يشرف بشكل واسع النطاق على المعركة في سوريا بإشراف قاسم سليماني قائد فيلق القدس، فإن مشاركة حزب الله لم تعد سرا من الأسرار رغم حالة الإنكار التي تتلبس زعماءه، وفي مقدمتهم الأمين العام، من دون أن نتجاهل المشاركة الروسية الفاعلة، بل لعلها الأكثر فعالية أيضا.

لكن الجديد (نسبيا) هو اعتراف دوائر عراقية شيعية بمشاركة شبان من الطائفة في المعركة الدائرة في سوريا انطلاقا من ولائهم للمرشد الإيراني خامنئي، وقناعة بأن معركة سوريا سيترتب عليها تحجيم النفوذ الشيعي في المنطقة.

هذا البعد الأخير ممثلا في تداعيات سقوط الأسد ليس تحليلا، فكل دوائر الحكم الشيعي في العراق تعكسه في تصريحاتها، وهي تبثه في الأوساط الشيعية عموما، ولا تسأل بعد ذلك عن فتاوى وتصريحات لمراجع إيرانيين وعراقيين (سرية وعلنية) تعتبر ما يجري في سوريا معركة "ضد أعداء أهل البيت".

كل ذلك يجعل من الطبيعي أن تنضم أعداد من الشيعة العراقيين إلى المعركة في سوريا إلى جانب النظام. وفي حين ينكر قادة منظمة بدر وعصائب أهل الحق وجيش المهدي إرسال مقاتلين إلى سوريا لأنهم يعتقدون "أن الصراع فيها شأن داخلي" كما قالوا لرويترز، فإن الجميع يعلم أنه لولا الحشد المذهبي، ولولا وجود تشجيع من طرف تلك القيادات لما ذهب أولئك للقتال في سوريا، فضلا عن الاعتراف بذلك دون تردد.

منشق عن جيش المهدي يكنى "أبو هاجر" قال لرويترز في اتصال هاتفي عن طريق الأقمار الصناعية من سوريا "شكلنا كتيبة أبو الفضل العباس التي تضم 500 من العراقيين والسوريين ومن جنسيات أخرى." وقد قيل ذات الكلام لعدد من مراسلي الصحف الأجنبية ومن بينها نيويورك تايمز.

كتيبة صاحبنا تضم مقاتلين "من العراقيين والسوريين (الشيعة بطبيعة الحال)، ومن جنسيات أخرى". لا يُعتقد أن من بين عناصرها لبنانيون، طبعا لأنهم يعملون تحت إشراف مبعوثي حزب الله.

واللافت أننا إزاء نموذج يشبه تنظيم القاعدة الذي يعمل في سوريا أيضا، ففي جبهة النصرة المحسوبة على القاعدة مثلا (إلى جانب فصائل أخرى) ستجد أناسا من شتى الجنسيات ينخرطون في القتال ضد النظام.

والنتيجة أننا إزاء "قاعدة" شيعية، مقابل "القاعدة" السنية.

قلنا من قبل مرارا وتكرارا، ومنذ شهور طويلة إن الحالة السورية باتت تستنسخ النموذج الأفغاني.

فإيران هنا تحل مكان الاتحاد السوفياتي، والحشد ضد الشيوعية يُستبدل بالحشد ضد الشيعة، فيما تحل تركيا نسبيا مكان باكستان، والمقاتلون العرب هم أنفسهم في الحالتين.

يبقى أن موقف أمريكا والغرب هو الذي يختلف إلى حد كبير، إذا أيدت أمريكا المجاهدين الأفغان بكل ما أوتيت من قوة، لكنها مال في سوريا إلى خيار التدمير، ومعها الغرب، بل وقفت ضد تسليح الثوار بأسلحة تمنحهم فرص الحسم، هي التي زودتهم في أفغانستان بصواريخ "ستينغر" التي مكنتهم من حسم المعركة بحلها لمعضلة الطيران التي عانى منها المجاهدون.

ما يعنينا اليوم هو هذه العولمة الجهادية الشيعية مقابل العولمة الجهادية السنية، وهي عولمة تعكس صراعا داخل البيت الإسلامي، بدل أن تكون بين الإسلام والشيوعية كما كان الحال في الحرب الأفغانية (كانت هناك فصائل جهادية أفغانية شيعية مدعومة من إيران).

كل ذلك يعكس حجم الجريمة الرعناء التي ارتكبتها إيران وحلفاؤها بانحيازها للنظام السوري ضد شعبه الذي خرج يطلب الحرية كجزء من ربيع العرب، وليس ضد إيران أو ضد المقاومة والممانعة.

فرق كبير بين مقاتلين جاؤوا ينصرون شعبا مضطهدا ضد نظام دكتاتوري فاسد، وبين من جاؤوا ينصرون الأخير ضد شعبه. صحيح أن الحشد الطائفي قد فعل فعله في الحالتين، إلا أن كثيرا من المقاتلين العرب والمسلمين في سوريا لم يأتوا على أساس طائفي أو مذهبي، وإنما من أجل مساعدة شعب مضطهد ضد جلاديه. في المقابل لا يوجد في الطرف الآخر من جاء ينتصر لفكرة أو برنامج مقنع خارج السياق الطائفي.

أما حديث بعضهم عن حماية مقام السيدة زينب، فلا يعدو أن يكون محاولة يائسة لتبرير موقف يستحيل تبريره.

مشهد مؤسف تتحمل إيران مسؤوليته بعد المجرم بشار الأسد، وليس الشعب السوري، ولا حتى من جاؤوا ينصرونه، لاسيما أن إيران ذاتها هي المسؤولة أيضا عن الحشد الطائفي، حتى لو أسهمت بعض الجهات العربية الرسمية في تصعيده لأسباب سياسية معروفة.

ستدرك إيران عما قريب أن قرارها دعم نظام بشار الأسد ضد شعبه هو أسوأ قرار اتخذته في تاريخها منذ انتصار الثورة عام 79 وحتى الآن، لكنه إدراك سيكون متأخرا إلى حد كبير.

المصدر: الدستور

المصادر: